بسم الله الرحمن الرحيم



أحكام وفوائد سورة إبراهيم

سورة إبراهيم عليه السلام فيها أحكام وفوائد ينبغي الالمام بها لأهميتها ونذكر بعضها هنا والله المستعان.

قال تعالي {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤)}

قلت: مهمة الرسل هي بيان أمر الله وشريعته والدعوة إلي توحيده و اخلاص العبودية له سبحانه وتعالي ومن سنن الله ورحمته أنه لا يعذب أمة حتي يأتيها البيان حتي لا تكون لها حجة وجعل مهمة البيان لمن اصطفاهم بالرسالة والنبوة قال الله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾. (سورة المائدة الآية: ٦٧(وبلسانهم ليفقهوا قوله كما جاء علي لسان موسي عليه السلام في قوله تعالي { وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨) }–طه

وفي هذه الآية ايضاً يستدل بها عن حكم من يريد الدعوة في قوم لا يتكلمون العربية هل يدعون بلغة القرآن أم بلغة القوم ؟ولقد سئل العلامة ابن العثيمين – رحمه الله تعالى –: ما حكم الخطبة بغير اللغة العربية؟

فأجاب فضيلته —رحمه الله–بقوله مبيناً الحكم من الآية: الصحيح في هذه المسألة أنه يجوز لخطيب الجمعة أن يخطب باللسان الذي لا يفهم الحاضرون غيره، فإذا كان هؤلاء القوم مثلاً ليسوا بعرب ولا يعرفون اللغة العربية فإنه يخطب بلسانهم؛ لأن هذا هو وسيلة البيان لهم،

والمقصود من الخطبة هو بيان حدود الله سبحانه وتعالى للعباد، ووعظهم، وإرشادهم، إلا أن الآيات القرآنية يجب أن تكون باللغة العربية، ثم تفسر بلغة القوم، ويدل على أنه يخطب بلسان القوم ولغتهم قوله تعالى: {وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}

فبين الله تعالى أن وسيلة البيان إنما تكون باللسان الذي يفهمه المخاطبون. والله أعلم. اهـ ([١])

---

[١] – انظر مجموع فتاوي ورسائل محمد بن عثيمين–(١١٢/١٦) –جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان–الناشر: دار الوطن – دار الثريا– الطبعة: الأخيرة – ١٤١٣ هـ

-قال تعالي {مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (١٨) }

الأمثال في القرآن كثيرة و تضرب لنا أروع التوجيهات وأبلغها في البيان بأقربِ طريق، وأوضح صورة، وفيها من العبر الكثير وكفي بقوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ -العنكبوت: ٤٣

وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إنَّ هذا القرآن ينزلُ من سبعةِ أبوابٍ على سبعة أحرفٍ؛ حلال وحرام، وأمر وزجر، وضرب أمثال، ومحكم ومتشابه، فأحِلَّ حلالَ الله، وحَرِّمْ حرامَه، وافعَلْ ما أمرَ اللهُ، وانتهِ عمَّا نهى اللهُ عنه، واعتَبِرْ بأمثالِه، واعمَلْ بمُحكَمِه، وآمِنْ بمُتشابِهِه، وقُلْ: ﴿ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ -آل عمران. ([٢])

وفي هذا المثال الذي ضربه الله تعالي في تشبيه اعمال الكفار برماد ذكر ابن القيم- رحمه الله-فوائد جمة منه قال ما مختصره:

شبه تعالى أعمال الكفار في بطلانها وعدم الانتفاع بها برماد مرت عليه ريح شديدة في يوم عاصف؛ فشبه سبحانه أعمالهم في حبوطها وذهابها باطلا كالهباء المنثور لكونها على غير أساس من الإيمان والإحسان وكونها لغير الله عز وجل وعلى غير أمره برماد طيرته الريح العاصف فلا يقدر صاحبه على شيء منه وقت شدة حاجته إليه؛ فلذلك قال: {لا يقدرون مما كسبوا على شيء} [إبراهيم: ١٨] لا يقدرون يوم القيامة مما كسبوا من أعمالهم على شيء، فلا يرون له أثرا من ثواب ولا فائدة نافعة، فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه، موافقا لشرعه، والأعمال أربعة، فواحد مقبول وثلاثه مردودة؛ فالمقبول الخالص الصواب، فالخالص أن يكون لله لا لغيره، والصواب أن يكون مما شرعه الله على لسان رسوله، والثلاثة المردودة ما خالف ذلك.

وفي تشبيهها بالرماد سر بديع، وذلك للتشابه الذي بين أعمالهم وبين الرماد في إحراق النار وإذهابها لأصل هذا وهذا، فكانت الأعمال التي لغير الله وعلى غير مراده طعمة للنار وبها تسعر النار على أصحابها وينشئ الله لهم من أعمالهم الباطلة نارا وعذابا كما ينشئ لأهل الأعمال الموافقة لأمره. اهـ([٣])

---

[٢] -أخرجه الحاكم في المستدرك (١ /٥٥٣) وقال: هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في مختصر السلسلة الصحيحة ٥٨٧

[٣] -انظر إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم (١٣١/١)الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت

قال تعالي {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢)}

قلت: الشيطان هو العدو الأزلي للإنسان حتي يرث الله الأرض ومن عليها فقد قال تعالي ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٦)-فاطر

والشيطان لا يريد لذرية آدم عليه السلام الخير بل هدفه واضح في قوله تعالي {قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧)}-الأعراف

ومن ثم فلا عجب أن يتبرأ من كل اتباعه الذين اضلهم ووسوس لهم حتي ضلوا الطريق عن الصراط المستقيم

وفي هذه الآية فائدة ذكرها ابن القيم فقال-رحمه الله-:

وهاهنا نكتة بديعة يجب التفطن لها وينبغي إخلاء القلب لتأملها وهو أن هذا المغرور لما أذل سلطان الله الذي أعزه به وشرفه ورفع به قدره وسلمه في يد أبغض أعدائه إليه وجعله أسيرا له تحت قهره وتصرفه وسلطانه سلط الله عليه من كان حقه هو أن يتسلط عليه فجعله تحت قهره وتصرفه وسلطانه يسخره حيث شاء ويسخر منه ويسخر منه جنده وحزبه فكما أذل سلطان الله وسلمه إلى عدوه أذله الله وسلط عليه عدوه الذي أمره أن يتسلط هو عليه ويذله ويقهره فصار بمنزلة من سلم نفسه إلى أعدى عدو له يسومه سوء العذاب وقد كان بصدد أن يستأسره ويقهره ويشفي غيظه منه فلما ترك مقاومته ومحاربته واستسلم له سلط عليه عقوبة له قال الله تعالى {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ} .

فإن قيل فقد أثبت له على أوليائه هاهنا سلطانا فكيف نفاه بقوله تعالى حاكيا عنه مقررا له {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي} وقال تعالى {وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ}

قيل: السلطان الذي أثبته له عليهم غير الذي نفاه من وجهين أحدهما أن السلطان الثابت هو سلطان التمكن منهم وتلاعبه بهم وسوقه اياهم كيف أراد بتمكينهم اياه من ذلك بطاعته وموالاته والسلطان الذى نفاه سلطان الحجة فلم يكن لإبليس عليهم من حجة يتسلط بها غير أنه دعاهم فأجابوه بلا حجة ولا برهان الثانى أن الله لم يجعل له عليهم سلطانا ابتداء البتة ولكن هم سلطوه على انفسهم بطاعته ودخولهم في جملة جنده وحزبه فلم يتسلط عليهم بقوته فإن كيده ضعيف وانما تسلطن عليهم بإرادتهم واختيارهم والمقصود أن

من قصد أعظم أوليائه وأحبابه ونصحائه فأخذه وأخذ أولاده وحاشيته وسلمهم إلى عدوه كان من عقوبته أن يسلط عليه ذلك العدو نفسه. اهـ([٤])

-قال تعالي: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥)}

في هاتين الآيتين فوائد عظيمة فالمثل المضروب يدل علي أن الكلمة الطيبة أو العمل الصالح أثار ذلك يستمر وينمو بفضل الله تعالي وكرمه ولو علمنا أن هذه الكلمة كما قيل في تفسيرها هي خير ما قاله الأنبياء وهي قول لا إله إلا الله لعلمنا عظمتها ومكانتها وقد ثبت في كثير من الأحاديث ذلك منها علي سبيل المثال لا الحصر:

- فعن قوله تعالي {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ} ففيها فوائد كثيرة من تشبيه الكلمة بالشجرة ونبدأ ونقول بحول الله وقوته:

ثبت في الحديث القدسي الصحيح عن النبي –صلي الله عيه وسلم – قال الله تعالى: يا ابن آدم! إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم! لوبلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي يا ابن آدم! لوأنك أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة»([٥])

- وعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ–رضي الله عنه– قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ»([٦])

-ومما ذكر أهل العلم من فوائد عن هذه الآية ما يلي:

قال ابن بطال–رحمه الله–: وكذلك المسلم يأتي الخير كل حين من الصلاة، والصوم، وذكر الله تعالى، فكأن الخير لا ينقطع منه، فهو دائم كما تدوم أوراق النخلة فيها، ثم الثمر الكائن منها فى أوقاته. اهـ([٧])

–وقال ابن القيم– رحمه الله–ما مختصره وبتصرف يسير: فشبه سبحانه وتعالى الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة؛ لأن الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح، والشجرة الطيبة تثمر الثمر النافع.

---

[٤] عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم (ص/٢٥)– الناشر: دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية

[٥] – حسنه الألباني في الصحيحة ١٢٧، الروض النضير ٤٣٢، المشكاة ٤٣٣٦

[٦] – أخرجه البخاري برقم/٩٩– بَابُ الحِرْصِ عَلَى الحَدِيثِ

[٧] – شرح صحيح البخارى لابن بطال(١/١٤١) دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية، الرياض

وهذا ظاهر على قول جمهور المفسرين الذين يقولون " الكلمة الطيبة هي شهادة أن لا إله إلا الله " فإنها تثمر جميع الأعمال الصالحة الظاهرة والباطنة، فكل عمل صالح مرضي لله ثمرة هذه الكلمة.

وفي تفسير علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: "كلمة طيبة شهادة أن لا إله إلا الله، كشجرة طيبة وهو المؤمن، أصلها ثابت قول لا إله إلا الله، في قلب المؤمن، وفرعها في السماء يقول يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء ".

وقال الربيع بن أنس: "كلمة طيبة هذا مثل الإيمان؛ فالإيمان الشجرة الطيبة. وأصلها الثابت الذي لا يزول الإخلاص فيه، وفرعه في السماء خشية الله " والتشبيه على هذا القول أصح وأظهر وأحسن؛ فإنه سبحانه شبه شجرة التوحيد في القلب بالشجرة الطيبة الثابتة الأصل الباسقة الفرع في السماء علوا، التي لا تزال تؤتي ثمرتها كل حين، وإذا تأملت هذا التشبيه رأيته مطابقا لشجرة التوحيد الثابتة الراسخة في القلب، التي فروعها من الأعمال الصالحة صاعدة إلى السماء، ولا تزال هذه الشجرة تثمر الأعمال الصالحة كل وقت؛ بحسب ثباتها في القلب، ومحبة القلب لها، وإخلاصه فيها، ومعرفته بحقيقتها، وقيامه بحقوقها، ومراعاتها حق رعايتها.

ثم أضاف– رحمه الله –بعد كلام:

والمقصود أن كلمة التوحيد إذا شهد بها المؤمن عارفا بمعناها وحقيقتها نفيا وإثباتا متصفا بموجبها قائما قلبه ولسانه وجوارحه بشهادته، فهذه الكلمة الطيبة هي التي رفعت هذا العمل من هذا الشاهد، أصلها ثابت راسخ في قلبه، وفروعها متصلة بالسماء، وهي مخرجة لثمرتها كل وقت.

وفي نهاية طرحه– حمه الله–قال:

وفي هذا المثل من الأسرار والعلوم والمعارف ما يليق به، ويقتضيه علم الذي تكلم به وحكمته.

فمن ذلك أن الشجرة لا بد لها من عروق وساق وفروع وورق وثمر، فكذلك شجرة الإيمان والإسلام؛ ليطابق المشبه المشبه به، فعروقها العلم والمعرفة واليقين، وساقها الإخلاص، وفروعها الأعمال، وثمرتها ما توجبه الأعمال الصالحة من الآثار الحميدة والصفات

لمدوحة والأخلاق الزكية والسمت الصالح والهدي والدل المرضي، فيستدل على غرس هذه الشجرة في القلب وثبوتها فيه بهذه الأمور، فإذا كان العلم صحيحا مطابقا لمعلومه الذي أنزل الله كتابه به والاعتقاد مطابقا لما أخبر به عن نفسه وأخبرت به عنه رسله والإخلاص قائم في القلب والأعمال موافقة للأمر، والهدي والدل والسمت مشابه لهذه الأصول مناسب لها، علم أن شجرة الإيمان في القلب أصلها ثابت وفرعها في السماء، وإذا كان الأمر بالعكس علم أن القائم بالقلب إنما هو الشجرة الخبيثة التي اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار. اهـ[٨]

---

[٨] –انظر إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم (١/١٣٢)الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت

-وعن قوله تعالي في الآية { تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ } قال ابن العربي- رحمه الله-في احكامه:
في تفسير الحين في الآية: وفيه عشرة أقوال وبعد أن ذكرها قال:

إن الحين ظرف زمان، وهو مبهم لا تخصيص فيه، ولا تعيين في المفسر له، وهذا مقرر لغة، مجمع عليه من علماء اللسان، وإنما يفسره ما يقترن به، وهو يحتمل ساعة لحظية، ويحتمل يوم الساعة الأبدية، ويحتمل حال العدم لقوله تعالى: {هل أتى على الإنسان حين من الدهر} [الإنسان: ١]. ولأجل إبهامه علق الوعيد به، ليغلب الخوف، لاستغراق مدة العذاب نهاية الأبد فيه، فيكف عن الذنب، أو يرجو لاقتضاء الوعيد أقل مدة احتماله؛ فيغلب الرجاء، ولا يقع اليأس عن المغفرة الذي هو أشد من الذنب، ثم يفعل الله ما يشاء. وتعلق من قال: إن الحين غدوة وعشية بقوله تعالى: {فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون} [الروم: ١٧]، ومن قال: إنه ثلاثة أيام نزع بقوله تعالى في قصة ثمود: {وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين} [الذاريات: ٤٣]. وتعلق ابن المسيب ببقاء الثمر في النخل.

واستدل من قال: إنه ستة أشهر بأنه مدة الثمر من حين الابتداء إلى حين الجني. وتعلق من قال: إنه يوم القيامة بقوله تعالى: {حتى حين} [الذاريات: ٤٣]. وتعلق من قال: إنه سبع سنين أو ثلاث عشرة سنة بأخبار إسرائيلية وردت في مدة بقاء يوسف في السجن باختلاف في الرواية عنهم ومن هذه الأقوال صحيح وفاسد، وقوي وضعيف؛ وأظهرها اللحظة؛ لأنه اللغة والمجهول؛ لأنه لا يعلم مقداره على التعيين، والشهران والستة أشهر والسنة لأنها كلها تخرج من ذكر الحين في ذكر النخلة في القرآن والسنة.

وروى ابن وهب، وابن القاسم عن مالك: من نذر أن يصوم حينا فليصم سنة. قال الله تعالى: {تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها} [إبراهيم: ٢٥]. وروى أشهب، عن مالك قال: الحين الذي يعرف من الثمرة إلى الثمرة قال الله تعالى: {تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها} [إبراهيم: ٢٥]. ومن الحين الذي لا يعرف قوله: {هل أتى على الإنسان حين من الدهر} [الإنسان: ١].

وقال أشهب في رواية أخرى: الحين الذي يعرف قوله: {تؤتي أكلها كل حين} [إبراهيم: ٢٥] فهذا سنة، والحين الذي لا يعرف قوله: {ومتاعا إلى حين} [النحل: ٨٠]، فهذا حين لا يعرف. وقد قال سعيد بن المسيب: إن الحين في هذه الآية من حين تطلع الثمرة إلى أن

ترطب، ومن حين ترطب إلى أن تطلع. والحين ستة أشهر، ثم قال: يقول الله: {تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها} [إبراهيم: ٢٥]. ومن الحين المجهول قوله: {ولتعلمن نبأه بعد حين} [ص: ٨٨].

قال القاضي: الذي اختاره مالك في الصحيح سنة، واختار أبو حنيفة ستة أشهر، وتباين العلماء والأصحاب من كل باب على حال احتمال اللفظ. وأصل المسألة الذي تدور عليه أن الحين المجهول لا يتعلق به حكم، والحين المعلوم هو الذي تتعلق به الأحكام، ويرتبط به التكليف، وأكثر المعلوم سنة. ومالك يرى في الأيمان والأحكام أعم الأسماء والأزمنة، وأكثرها استظهارا. والشافعي يرى الأقل؛ لأنه المتعين. وأبو حنيفة توسط،

فقال: ستة أشهر. ولا معنى لقوله؛ لأن المقدرات عنده لا تثبت قياسا، وليس فيه نص عن صاحب الشريعة؛ وإنما المعول على المعنى بعد معرفة مقتضى اللفظ لغة، وهو أمر يختلف باختلاف الأمثلة. اهـ ([9])

-قال تعالي {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٧)}

في هذه الآية الكريمة بشري من الله تعالي لمن آمن بالله تعالي ولم يظلم أو يطغي بالثبات من فتنة الحياة الدنيا والحياة البرزخية بعد الموت .. قال العلامة ابن العثيمين- رحمه الله مبينا فوائد وأحكام من الآية قال: هذه الفتنة يجب علينا أن نؤمن بها، فقد ثبتت هذه الفتنة في الكتاب والسنة، أما في الكتاب فعلى طريق الإشارة في قوله تعالى: (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ) (إبراهيم: ٢٧)، وأما في السنة فالأحاديث بذلك مشهور معلومة، فيجب علينا أن نؤمن بها.

وفي هذه المسألة مباحث، منها:

المبحث الأول: متى تكون هذه الفتنة؟ هل هي بخروج الروح أو بتسليم الإنسان إلى عالم الآخرة؟

والجواب الثاني: أما مجرد خروج الروح فلا يحصل به فتنة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أرادوا دفن الميت، يقول: (أسرعوا بالجنازة؛ فإن تكن صالحة فخير تقدموها إليه)) ([10])، وهذا يدل على أنها لا تصل إلى ذلك الخير ما دامت في أيديهم، وعلى هذا فإذا مات ميت ووضع في الثلاجة للتحقق من موته، وأسبابه، فإنه لا يفتن، ولا يأتيه ملكان حتى يدفن.

المبحث الثاني: هل هذا خاص بالمقبور لقوله: (إذا دفن الميت) أو يشمل كل ميت؟

والجواب: أن هذا ليس خاصا بالمقبور بل يشمل كل ميت، وقوله صلى الله عليه وسلم: ((إذا دفن الميت ... الخ))، بناءً على الأغلب، وما قيد بقيد أغلبي فلا مفهوم له، وعلى هذا فإذا ألقي الإنسان في البر، أو ألقي في البحر ومات هناك، فإنه يأتيه الملكان ويفتن.

المبحث الثالث: هل هذه الفتنة عامة لكل أحد أو يخرج منها من يخرج بإذن الله؟

والجواب: أن هذه الفتنة يخرج منها من يخرج بإذن الله، ومن ذلك:

أولاً: غير المكلف، فإن كثيراً من أهل العلم قالوا: إن غير المكلف لا يسأل لأنه غير مكلف؛ سواء أجاب بخطأ أو صواب، فما دام التكليف رفع عنه في الدنيا فإنه يرفع عنه في الآخرة.

---

[9] -انظر أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي- (٩١/٣)

[10] - {خرج البخاري نحوه برقم/ ١٣١٥- بَابُ السُّرْعَةِ بِالْجِنَازَةِ ولفظه «أَسْرِعُوا بِالْجِنَازَةِ، فَإِنْ تَكُ صَالِحَةً فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا، وَإِنْ يَكُ سِوَى ذَلِكَ، فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ»

وقال بعض العلماء: بل يأتيه الملكان ويسألانه، وهو إذا كان محكوماً بإيمانه فإنه سوف يجيب بالصواب، ولا يبعد أن الله عز وجل يكلف هذا الصغير، وأن الصغير يجيب بالصواب، فها هو عيسى بن مريم كان في المهد، ولما انتقدوا على أمه أشارت إليه، (قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً) (مريم: ٣٠) (وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً) (مريم: ٣١) (وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً) (مريم: ٣٢) (وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً) (مريم: ٣٣) كل هذا قاله وهو في المهد.

فهؤلاء الأطفال الذين يموتون، أو المجانين – وإن كانوا غير مكلفين – فإن الله تعالى قادر على أن ينطقهم في القبر بما يشاء.

مسألة:

إذا قلنا: أن غير المكلف لا يُسأل في قبره فلو كلف ثم زال تكليفه يعني كان بالغ ثم أصيب بجنون هل يسأل؟

والجواب: الظاهر أنه يسأل لأنه أتى عليه زمن التكليف.

ثانياً: ومما يستثنى الشهيد؛ فالشهيد الذي قتل في سبيل الله لا يسأل، كما جاء ذلك في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، حيث قال: ((كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة)) ([11])، فإن هذا الرجل الذي وقف أمام السيوف وسلم رقبته للعدو، يدل فعله هذا أكبر دلالة على صحة إيمانه، وحينئذٍ لا يحتاج إلى سؤال.

ثالثاً: ومما يستثنى: النبي؛ فإنه لا يسأل؛ لأن النبي مسؤول عنه، حيث يقال: ما دينك؟ من نبيك؟ ولأنه إذا كان الشهيد لا يسأل، فالنبي أعلى درجة منه، وإن كانت الأمور في الآخرة ليس فيها قياس، لكننا نقول: إن النبي عنده من اليقين أكثر مما عند الشهيد، ولا شك في هذا، ولهذا نقول: إن النبي لا يسأل. اهـ([12])

–ولشيخ الإسلام ابن تيمية فائدة جليلة ذكرها في مجموع الفتاوي قال: ولقد كان من أصول الإيمان: أن يثبت الله العبد بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة كما قال تعالى: {ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء} {تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون} {ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار} {يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء} . والكلمة: أصل العقيدة. فإن الاعتقاد هو الكلمة التي يعتقدها المرء وأطيب الكلام والعقائد: كلمة التوحيد واعتقاد أن لا إله إلا الله. وأخبث الكلام والعقائد: كلمة الشرك وهو اتخاذ إله مع الله. فإن ذلك باطل لا حقيقة له ولهذا قال سبحانه: {ما لها من قرار} ولهذا كان كلما بحث الباحث وعمل العامل على هذه الكلمات

---

[11] –أخرجه النسائي (رقم/٢٠٥٣) وصححه الشيخ الألباني في "أحكام الجنائز" (ص/٥٠)

[12] – انظر شرح العقيدة السفارينية – الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية

لابن عثيمين (ص/٤٣٣)الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض

والعقائد الخبيثة لا يزداد إلا ضلالا وبعدا عن الحق وعلما ببطلانها كما قال تعالى: {والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب} { أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ (٤٠) –النور} . فذكر سبحانه مثلين: – (أحدهما: مثل الكفر والجهل المركب الذي يحسبه صاحبه موجودا وفي الواقع يكون خيالا معدوما كالسراب وأن القلب عطشان إلى الحق كعطش الجسد إلى الماء. فإذا طلب ما ظنه ماء وجده سرابا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب. وهكذا تجد عامة هؤلاء الخارجين عن السنة والجماعة. اهـ([١٣])

---

١٣ ––انظر مجموع الفتاوي لابن تيمية–(٧٤/٤) –الناشر دار الوفاء